

مؤسسة وادي حضرموت الخيرية

تصريح رقم (١٨/٧٢) ٢٠٠٧م



مدارس التوحيد لتحفيظ القرآن الكريم

سلسلة نور الوحيين (٢٣٩)

الكتيبات الدعوية (٣٢)

أوّل الإيمان

بقلم الشيخ الدكتور/

طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

رئيس المجلس العلمي للإفتاء والبحوث برابطة أهل الحديث باليمن

واستاذ الفقه المشارك بجامعة سيئون

صفر١٤٤٤هـ

تصميم: إدارة الإعلام بالمؤسسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا سيد المرسلين، وبعد:

فإن للإيمان حقائق ومؤشرات يقيس بها العبد نور إيمانه ووزنه، فمن الناس من يكون نور إيمانه كالنخلة، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم من يكون نور إيمانه كالجبل، ومنهم من هو فوق ذلك، وسلمان الفارسي ﷺ لو كان الإيمان عند الثريا لبلغه!، ومن الناس من يكون وزن إيمانه كوزن الدينار، أو نصف دينار، أو مثقال برة، أو مثقال شعيرة، أو مثقال ذرة، ومنهم من يزن إيمانه السموات والأرض، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما ملئ إيمانًا إلى مُشاشه؛ أي رؤوس عظامه!.

فما نور إيمان قلبك ؟ وما وزن إيمان لسانك وجوارحك ؟، وتذكر أن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكن شيء وقرّ في القلب، وصدّقه العمل، فما الذي وقرّ في قلبك، وصدّقه عملك ؟.

فضل الإيمان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سئلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ فقال: "إيمانٌ بالله ورسولِه"، قيل: ثم ماذا؟ قال:

"الجهادُ في سبيلِ الله"، قيل: ثم ماذا؟ قال: "حجٌّ مبررٌ"، أخرجه البخاري ومسلم.

والناس يتفاوتون في إيمانهم، وليس الناس في الإيمان سواء، يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "إنَّ الله قسَمَ بينكم أخلاقَكُمْ، كما قسَم بينكم أرْزاقَكم، وإنَّ الله يُؤْتي المالَ من يُحبُّ ومَنْ لا يحِبُّ، ولا يُؤتي الإيمانَ إلا مَنْ أحبَّ، فإذا أحبَّ الله عبداً أعطاهُ الإيمانَ"، أخرجه الطبراني.

ولا بد للإيمان من عمل: فعند الطبراني في الكبير عن أبي كثير السحيمي عن أبيه قال: سألت أبا ذر ﷺ قلت: دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة، قال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "يؤمن بالله واليوم الآخر"، قلت: يا رسول الله، إن مع الإيمان عملاً؟ قال: "يرضخ مما رزقه الله"، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرًا، لا يجد ما يرضخ به؟ قال: "يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر"، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان عييًا، لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ قال: "يصنع لأخرق"، قال: أرأيت إن كان أخرق، لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟ قال: "يعين مغلوبًا"، قال: أرأيت إن كان ضعيفًا، لا يستطيع أن يعين مغلوبًا؟ قال: "ما تريد أن يكون في صاحبك من خير! يمسك عن أذى الناس"، فقلت: يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: "ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة".

أصل إيمان القلب:

محبة الله تعالى، والإيمان به، وبرسالاته، وبأحكامه هي أصل إيمان القلب:

فكيف تبلغ أصل إيمان القلب: في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ أن جبريل سأل النبي ﷺ: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، فصدِّق بوجود الله، وانفراده بالربوبية والكمال والألوهية:

- ومن الإيمان بربوبيته: الإيمان بأحكامه القدرية فيما يقضي به في ملكوته، والإيمان بجنوده من الملائكة المنفذين لأحكامه القدرية.
- ومن الإيمان بألوهيته: الإيمان بكل ما دلّنا عليه من طرق عبادته، ومن أحكامه الشرعية؛ عن طريق كتبه ورسله.
- ومن الإيمان بكمال أسمائه وصفاته: الإيمان بكمال عدله ورحمته وغضبه وأحكامه الجزائية في اليوم الآخر، فمدار الأمر على معرفة الله عزّ وجلّ، والإيمان به، ومحبته.

دليل إيمان القلب:

فإذا كان هذا الإيمان كعقيدة وإيمان الصحابة ﷺ كان هذا دليل إيمان القلب:

فكيف تحقق دليل إيمان القلب: في الصحيحين من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"، فحقق حبهم، وأبغض من أبغضهم، وأعلم أن معيار الإيمان بالله عز وجل الصحيح هو موافقة إيمانهم واعتقادهم.

ثم أعلم أن هذا الإيمان له رتب:

نفي إيمان القلب:

فإذا لم يكن في القلب حياء من فعل ما يُغضب الله دلّ ذلك على انتفاء إيمان القلب تلك الساعة:

فليحذر العبد من أن ينتفي الإيمان عن قلبه: فعند الحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "الحياء والإيمان قُرَناءُ جميعاً، فإذا رُفعَ أحدُهما رُفعَ الآخر"، فاحذر أن يرتفع الحياء من قلبك، فلا تجد في قلبك إنكارًا لما يبغضه الله عز وجل.

أضعف إيمان القلب:

فإذا أنكر بقلبه ما يُغضب الله، دون تغييره بيده ولسانه بلغ درجة أضعف الإيمان:

فكيف تعرف أنك في درجة أضعف الإيمان: في صحيح مسلم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"، وفي لفظ: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل"، فليكن في قلبك كراهية ما يبغضه الله تعالى.

نصف إيمان القلب:

فإذا صبّر قلبه على فعل ما يحبه الله تعالى بلغ درجة نصف الإيمان:

فكيف تبلغ درجة نصف إيمان القلب: عند الطبراني في المعجم الكبير قال عبد الله بن مسعود ﷺ: الصبْرُ نصْفُ الإيمانِ، واليَقينُ الإيمانُ كُلُّه، وعن علي ﷺ قال: الإيمان نصف صبر، ونصف شكر، فاحرص على أن تجاهد نفسك وتصابرها على التزام أحكام الله تعالى.

طعم الإيمان بالقلب:

فإذا بلغ الرضا بما يحبه الله؛ من أحكامه وشرعه بلغ درجة أن يطعم طعم إيمان القلب:

فكيف تبلغ درجة أن تجد طعمًا لإيمان القلب: في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً"، فربِّ قلبك على أن يرتقي من الصبر إلى الرضا، ولترضَ بأحكام الله تعالى وأفعاله.

حلاوة إيمان القلب:

فإذا نجح في الاختبارات الشرعية، فكان ممن يحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه بلغ درجة أن يجد حلاوة إيمان القلب:

فكيف تبلغ درجة أن تجد حلاوة لإيمان قلبك: في الصحيحين عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار"، وعند مسلم: "من أن يرجع يهوديًا أو نصرانيًا"، فاجتهد أن تصدق الله إذا اختبر إيمانك الاختبارات الشرعية: من تحب؟، ولماذا تحب؟، وكيف تحب إذا بليت بالشدائد أو المغريات؟.

حقيقة إيمان القلب:

فإذا نجح في الاختبارات القدرية، فكان ممن يرضى عن الله بلغ درجة حقيقة إيمان القلب:

فكيف تبلغ حقيقة إيمان القلب: في مسند أحمد عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"، فاصدق الله

عز وجل إذا اختبر إيمانك الاختبارات القدرية، وارضَ بقضائه، واقنع بعطائه، وآمن بلقائه.

كمال إيمان القلب:

فإذا صارت جميع بواعث فعله إلى ما يحبه الله، وجميع بواعث تركه لما يبغضه الله بلغ درجة كمال إيمان القلب:

فكيف تبلغ كمال إيمان القلب: في سنن أبي داود عن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان"، بل عند أحمد: "إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله"، فاجعل انتماءك الكامل لدينك، وكل رغباتك ومكروهاتك، وكل عطائك ومنعك لأجل الله عز وجل.

فعجل بالإيمان، قبل أن يحلّ بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

أصل إيمان الجوارح:

العمل بما تقتضيه محبة الله تعالى، والإيمان به، وبرسالاته، وبأحكامه هي أصل إيمان الجوارح:

وكيف تبلغ أصل إيمان اللسان والجوارح: في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "هل تدرون ما الإيمان بالله؟"، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسًا من المغنم"، فحقق أركان الشهادتين، وشروط الإيمان بهما، وأخلص لله عز وجل فيهما، واعلم أن مدار ذلك على:

- بذل وقتك لأداء صلاتك.
- وبذل محبوبك لأداء زكاتك.
- وترك شهواتك لأداء صومك.
- وترك عاداتك لأداء حجك.
- وبذل جهدك وروحك لنصرة دينك، وترك خمس غنيمتك لإرضاء ربك.

- ثم عليك بالإخلاص في ذلك كله، فعن أبي فراس الأسلمي ﷺ قال: نادى رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: "الإخلاص"، أخرجه البيهقي.

دليل إيمان الجوارح:

فإذا صرت تفرح بفعل الطاعة وترك المعصية، وتحزن لترك الطاعة وفعل المعصية كان هذا دليل إيمان الجوارح:

وكيف تبلغ دليل إيمان اللسان والجوارح: في مسند أحمد عن أبي أمامة ﷺ، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: "إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك فأنت مؤمن"، فافرح بطاعتك، وابكِ على خطيئتك، ولتكن نفسك المطمئنة عند الطاعة، واللّوامة عند المعصية.

ثم أعلم أن هذا الإيمان له رتب:

نفي إيمان الجوارح:

فإذا لم يترك فعل ما يُغضب الله دلّ ذلك على انتفاء إيمان الجوارح تلك الساعة:

فليحذر العبد من أن ينتفي الإيمان عن لسانه وجوارحه: فعند أبي داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إذا زنا الرجلُ خرج منه الإيمانُ، فكان عليه كالظُّلَّةِ، فإذا أقْلَعَ رجع إليه الإيمانُ"، فتجنب الزنا

ودواعيه، ورمي الناس به، ولا تجعل بَذْلَك لوقتك ومالك وجهدك لاتباع شهواتك، وما اعتادت نفسك من الحرام.

ضعيف إيمان الجوارح:

فإذا وجد حبًا لما يحبه الله تعالى، دون أن ينشط بجوارحه ولسانه له بلغ درجة ضعيف الإيمان:

وكيف تعرف أنك في درجة ضعف إيمان اللسان والجوارح: في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"، فمتى لم تحرص على ما ينفعك، وضَعُفت استعانتك بالله، وكثر في نفسك التحسر والوساوس، ولم تنشط للطاعات فقد ضعف إيمانك.

نصف إيمان الجوارح:

فإذا صبر على فعل ما يحبه الله تعالى، وداوم عليه؛ خاصةً الوضوء بلغ درجة نصف الإيمان:

وكيف تبلغ درجة نصف إيمان اللسان والجوارح: في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الطَّهور شَطْرُ الإيمان"، وعند ابن ماجه: "إسباغُ الوضوء شطرُ الإيمان"، فاجتهد في المحافظة على الوضوء وعلى سننه القولية والفعلية، ولو في المكاره، وعلى سائر الأعمال التي تطهرك من الذنب، ويحبها الربّ.

طعم إيمان الجوارح:

فإذا فعل ما يحبه الله راضيةً طيبةً به نفسه، مخلصًا به لربه بلغ درجة أن يطعم طعم إيمان الجوارح:

وكيف تبلغ درجة أن تطعم طعمًا لإيمان اللسان والجوارح: عند أبي داود عن عبد الله بن معاوية الغاضري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "ثلاث من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسه، رافدة عليه كل عام ... وزكى نفسه"، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: "أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان"، فاحرص على أن تفرح نفسك وتطمئن بعبادة الله،

والإنفاق في سبل مرضاته، وعلى سائر الأعمال التي تبتغي بها رضا الله، وتزكية نفسك.

حلاوة إيمان الجوارح:

فإذا نجح في الاختبارات الشرعية، فكان ممن يُقدم فعل ما يحبه الله على فعل ما تحبه نفسه بلغ درجة أن يجد حلاوة إيمان الجوارح:

فكيف يبلغ العبد درجة أن يجد حلاوة لإيمان لسانه وجوارحه: عند الحاكم من حديث معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحد؛ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها؛ من عِظم حقه عليها، ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قَتَبٍ"؛ أي ولو كانت على ظهر بعير حال ولادتها، فلتحرص على موافقة شرع الله إذا اختُبرت بالاختبارات الشرعية، ومن أجلّها بالنسبة للمرأة طاعة الزوج، ولو بلغ امتحانها بذلك هذه الصورة الصعبة على النفس.

حقيقة إيمان الجوارح:

فإذا أحسن طاعة المعبود، وحسّن خُلقه للعباد بلغ درجة حقيقة الإيمان:

وكيف تبلغ حقيقة إيمان اللسان والجوارح: في صحيح ابن حبان عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير"، فتعامل مع الناس بما تحب أن يعاملوك.

كمال إيمان الجوارح:

فإذا عامل الناس بأحسن ما يستطيعه من أخلاق بلغ درجة كمال إيمان الجوارح:

وكيف تبلغ كمال إيمان اللسان والجوارح: عند الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم"، فاجتهد أن تعامل الناس بأحسن ما تستطيعه من خلقٍ، وقولٍ وفعلٍ.

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ

فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}، فعجلْ بالترقي في رتب إيمان القلب، ورتب إيمان الجوارح، واكسب في إيمانك خيرًا.

حتى تبلغ **صدق** الإيمان، اعتقادًا وعملاً، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الحجرات: ١٥ - ١٧].

وحتى تبلغ **حقيقة** الإيمان اعتقادًا وعملاً، قال الله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال: ٢ - ٤].

فإيمان القلب يتحقق:

- بأن يخافك قلبك عند ذكر الله عز وجل.[١]

[١] . وسنتعلم مع رسالة: (أول الخشية) كيف نذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى.

- ويزداد إيمانك عند قراءة كلامه.[٢]

- وتتوكل على ربك في كل ما يعرض لك من مواقف وأحداث.[٣]

وإيمان الجوارح يتحقق:

- بأن تحسن إقامة صلاتك؛ قولاً وفعلاً وخشوعًا، فتحسن في إخلاص العبادة للمعبود.[٤]

- وتحسن في إنفاقك مما رزقك الله؛ مالاً وعلمًا وجهدًا، فتحسن في الإحسان إلى العباد.[٥]

واجتهد في الدعاء بأن يؤتيك الله الإيمان، فهو مِنّة من الله وحده، قال تعالى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الحجرات: ١٧]، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم واجعلنا ممن يخشاك، ومن أهل تقواك، وممن يعبدك كأنه يراك، ولا تجعل لنا وليًا سواك.

---

[٢] . وسنتعلم مع رسالة: (أول التدبر) كيف يزيد إيماننا مع تدبر قراءة القرآن الكريم.

[٣] . وسنتعلم مع رسالة: (أول التربية) كيف نترقى في مقامات السير إلى الله والدار الآخرة، ومع رسالة: (أول المحاسبة) كيف نحاسب أنفسنا على مواقفنا وأفعالنا على وفق قانون السلف.

[٤] . وسنتعلم مع رسالة: (أول التعبد) كيف نخشع في صلاتنا، ونحقق حقيقة العبادات.

[٥] . وسنتعلم مع رسالة: (أول التصفية) كيف نجتنب الأخلاق السيئة، ومع رسالة (أول الأدب) كيف نكتسب الأخلاق الحسنة.